في سورة الشعراء وما رب العالمين وهو سؤال عن الماهية فهما سؤالان مختلفان
والواقعة واحدة قال ابن عادل والأقرب أن يقال سؤال من كان مقدماً
على سؤال ما لأنه كان يقول إني أنا الرب فقال فمن ربكما فلما
أقام موسى الدلالة وعرف أنه لا يمكنه أن يثبت وجهه في هذا المقام
لظهوره وجلالته عدل إلى طلب الماهية لأن العلم بماهية الله تعالى
غير حاصل للبشر فإن قيل فهلا لم قال فمن ربكما ولم يقل فمن إلهكما
أجيب بأنه أثبت نفسه رباً ألم نربك فينا وليدا فذكر ذلك على
سبيل التعجب كأنه قال أنا ربك فلم تدعي رباً آخر وهذا يشبه كلام نمرود
حين قال له إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال له نمرود أنا أحيي وأميت
ولم تكن الإماتة التي ذكرها إبراهيم من الإماتة مع الإحياء التي عارضه
نمرود بها إلا في اللفظ فكذا ههنا لما ادعى موسى ربوبية الله تعالى ذكر
فرعون هذا الكلام أنا الرب الذي ربيتك ومعلوم أن الربوبية التي
ادعاها موسى عليه السلام غير الربوبية في المعنى وأنه لا مشاركة
بينهما ثم كأنه قيل فما أجاب به موسى فقيل قال مستدلاً على إثبات
الصانع بأحوال المخلوقات ربنا الذي أعطى كل شيء أي من الأنواع خلقه
أي صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين
الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع
وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق
به من المنفعة غير نائي أي غير متباعد عنه وأعطى كل حيوان نظيره في
الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة
كذلك والمرأة والرجل كذلك فلم يزاوج منهما شيء غير جنسه وما
هو على خلاف خلقته أي عرف الله تعالى الحيوان الكائن
من المخلوقات كيف يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل إليه قال الزمخشري

وبه

وبه رد هذا الجواب ما أحضره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر
بعين الإنصاف وكان طالباً للحق ولما خاف فرعون أن يزيد موسى
في إظهار تلك الحجة فيظهر للناس صدقه قال لموسى فما بال أي حال
القرون أي الأمم الأولى كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم
الأوثان وإنما كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث فمن شقي منهم ومن
سعد أراد أن يصرفه عن ذلك الكلام ويشغله بهذه الحكايات فلم
يلتفت إليه فلذلك قال علمها عند ربي استأثر به لا يعلمه إلا هو
وما أنا إلا عبد مثلكم لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم
أحوال هذه القرون مثبت عند ربي في كتاب هو اللوح المحفوظ ويجوز
أن يكون ذلك تمثيلاً لتمكنه في علمه تعالى بما استحفظه العالم وقيده
بالكتبة ويؤيده قوله لا يضل ربي ولا ينسى والضلال أن يخطئ الشيء
في مكانه فلم يهتد إليه والنسيان أن يذهب عنه بحيث لا يخطر
بباله وهما محالان على علام الغيوب بخلاف العبد الذليل والبشر
الضئيل أي لا يضل عنها ربي ولا ينسى كما تضل أنت وتنسى يا مدعي
الربوبية بالجهل والوقاحة ثم عاد إلى تتميم كلامه الأول وإبراز
الدلائل الظاهرة على الوحدانية فقال الذي جعل لكم في جملة
الخلق الأرض مهاداً أي فراشاً تنسبه هذا الموصول في محل رفع صفة
لربي أو خبر لمحذوف تقديره هو أو منصوب على المدح وقرأ عاصم
وحمزة بفتح الميم أي مهدها مهداً أي تتمهدونها فهي لكم كالمهد
وهو ما يمهد هنا وفي سورة الزخرف مهداً بفتح الميم للصبي وقرأ
الباقون بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها وهو اسم ما يمهد
كالفراش أو جمع مهد وسلك أي سهل لكم فيها سبلاً أي طرقاً بين
الجبال والأودية والبراري تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)